



أ.رداف نصيرة

(جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة)

Email : reddafnacera@ hotmail.fr

المخلص

تشغل التصورات الاجتماعية اليوم بالباحثين والعلماء نظرا للإضافة المهمة التي جاءت بها، حيث أضفت الديناميكية والحركية على البحوث والدراسات الاجتماعية والإنسانية، منذ ظهورها الأول على يد الباحث س.موسكوفيتش من خلال عمله الرائد "التحليل النفسي؛ صورته وجمهوره" (1961). وما فتئت كمقاربة تعرف تطورا متفردا على المستويين المفاهيمي والمنهجي من أجل إبراز الآليات النفس- اجتماعية المتعلقة بالتفسيرات المسندة لموضوع اجتماعي معطى.

الكلمات المفتاحية: التصورات الاجتماعية- المقاربة النفس اجتماعية- المقاربة

البنيوية- الموضوع الاجتماعي.

Abstract

The social representations today are the concern of many researchers and scientists. Because of the important task , they have added, since their first appearance by the researcher S. Moscovici in his famous work” The psychanalysis; Its image and its public”(1961).They have added a dynamic movement to the research’s on social and human studies

As an approach, the social representations have known a development on both the conceptual and the Methodological perspectives in order to show the psychosocial mechanisms of a given expantation that is relate to an assigned social subject.

Keywords : *The social representations- Psychosocial approach- structural approach- social subject.*

مقدمة

التصورات الاجتماعية من النظريات التي أثارت جدلا كبيرا في الأوساط الأكاديمية لتسببها وتمفصلها بين مفترق التخصصات العلمية. فحظيت بإسهامات هامة محددة لخصائصها، بهدف تحليل العناصر المهيكلية لها؛ كالاتجاهات والمعلومات الدائرة في حقل التصور، بتنفيذ سيرورتي التوضيح والمرساة التي تمارس ضمنهما. فتحول المجرد لواقع ملموس والحدث الغريب لحدث مألوف ومعروف. وذلك من خلال نظاميها؛ المركزي الذي يعمل على ثباتها واستقرارها والمحيطي الذي يعمل على حمايتها والدفاع عنها. إلا أنها لا تظهر دون توفر مجموعة من الشروط، نظرا للتنوع والديناميكية التي تتميز بهما، الى درجة تعرضها، ضمن الممارسة الاجتماعية لتعديلات أقل أو أكثر حدة.

1- التصورات الاجتماعية أساس الجماعة

يعد إ. دوركايم E. Durkheim أول من استعمل مصطلح التصورات في مقال له نشر في مجلة "الميتافيزيقا والأخلاق" (1898) تحت مسمى "التصورات الجماعية". مؤكدا على خصوصية التفكير الجماعي في تفسير مختلف الظواهر الاجتماعية، التي تقبع حسبه داخل الجماعات المؤسسة، للحفاظ على العلاقات القائمة بين أعضائها لفرض قيود سلوكية ما وممارسة القسر والضغط عليهم (O. Salomon, 1996, 3D). ودعم أفكاره بسرد الكيفية التي تُنظم بها القبائل الأسترالية عقائدها. فحسبه لا يمكن إعطاء تفسيراً للمعتقدات الطوطامية بالعوامل السيكولوجية القحة، لأنها نتاج التفكير المشترك. (S. Baggio, 2011, 94,95)

ويعتقد دوركايم أن التصورات الجماعية عملية اجتياف تُفرض القيم وتساهم في نقل المعايير والأحكام المنتشرة. (H. Bezille-Lesquoy, 2003, 58) فعرفها

بـ: "ظواهر دون باقي الظواهر، بسبب ميزاتهما الخاصة (...)"، من غير شك لها أسباب، وهي بدورها أسبابا. وإنتاجها لا يكون وفق الأفكار التي تشغل انتباهنا كأفراد، لكن كبقايا لحياتنا الماضية. ميول تحركنا، عادات مكتسبة، أحكام مسبقة. أي كل ما يشكل سماتنا الأخلاقية وتأثير المجتمع في مظاهر الفرد (E. Durkheim في سليمان بومدين، 2003-2004، 12-14). و"أشكالا عقلية خاصة بالجماعة وخارجة عن ضمير ووعي الأفراد. فلا تنبثق كوحدات معزولة متفرقة، وإنما كوحدات منسجمة ومتفق حولها" (14, N.Roussiau, 1999, C.Bonardi (15)). تساهم في التنشئة وتمارس السلطة إن ضيقا أو اتساعا وفق ناموس منظومة الجماعة وتخضع لقوانينها وسننها.

وأفكار دوركايم أول من أعطى التصورات خاصة الجماعة، كونها نشاطا متعلقا بالخصائص الاجتماعية سواء تعلق بموضوع بيولوجي، فيزيولوجي، ظاهرة طبيعية، لأنها تشكل بالأساس الرهان الذي تبني عليه الجماعة نظامها المعرفي، وإن كان الموضوع ليس من أولويات حقلها التصوري (P. Moliner, 1994, 27). وفي كل الحالات، الحياة الاجتماعية عنده، لا تشكل ظاهرة مستقلة قائمة بذاتها، وإنما صنفا أساسيا في الجماعة (M-L. Rouquette, P.Rateau, 1998, 14). ويمكن الاستدلال على هذا الطرح بأعمال ب. بورديو Bourdieu Pierre، التي استكشفت السيرورات اللاواعية لاستدخال ونقل التصورات الجماعية، حتى تسمح بدمج القيم الخاصة بجماعات الانتماء وترجم التعود Habitus الذي يوجه السلوكيات، التصرفات، الأذواق، الأفعال... ففي رأيه: "لا يتم إدراك العالم الخارجي بواسطة التصورات الذهنية فقط، وإنما بالتجارب والممارسات كذلك (2007, 18I. Markova).

والحديث عن التصورات من منظور هذه الخاصية، يستدعي التطرق للعوامل المتعلقة بحالة التفاعل التي يكون عليها الفرد في مواجهة مثير ما. فتبدو كحالة ذهنية، تسمح باستدخال الأفكار، الأيديولوجيات، القيم، النماذج الجاهزة،... التي اكتسبها من جماعته. فهو ينتج تصورا اجتماعيا يعكس موقعه، وضعيته، موقفه،... لأنه حامل لمحددات اجتماعية، قاعدة وأساس كل نشاط تصوري. إن سيرورة الجماعة، أساس تعلم السلوكيات والتصرفات، لتتفق مع تصورات الفرد، حتى يتمكن من تفسير المحيط، لأنها في الحقيقة تعبيراً عن التصورات الاجتماعية (A. Kouadria, 1994, 115A). التي يقول عنها ع.قوادرية (1994) ليست محددة بمجرد ميلاد الشخص، وإنما تكتسب وتتطور وفق الأهمية التي يوليها المجتمع لهذه القيمة أو تلك. فالفرد يتعلم قبول أو رفض ما تقبله أو ترفضه جماعته. ويفهم عالمه كما يفهمه محيطه (Ibid, 123). ويتصور بيئته تبعاً للرأي والقيم الثقافية المنتشرة. ويكتسب ويطور نماذج الفكرية ويترجمها إلى تصورات اجتماعية وذهنية تُمارس أو تتغير تبعاً لتطور مجتمعه (Ibid, 107)، حيث تلعب دوراً مهماً في الحفاظ على العلاقات الاجتماعية، باعتبارها نوعاً من المعرفة المنتجة من الخبرات والمعلومات وتنتقل اجتماعياً بفضل التقاليد، العادات، الأعراف، التربية..

2- مظهر التصور الديناميكي - التطبيق ل مفهوم النظام الاجتماعي

التصورات الاجتماعية ليست صوراً بسيطة يمكن بلورتها عن الواقع، بل عملية بناء ونشاط نفسي وذهني للحفاظ على هذا الواقع أو تعديله أو تغييره إن لزم الأمر. فيؤكد موسكوفيتشي: "نظام من القيم، المفاهيم، الممارسات... الخاصة بمواضيع مختلفة، أداة لتوجيه وإدراك الوضعية وتأسيس الإجابات"، لتحديد إطار حياة الجماعة (G.N. Fisher, 1993, 13)، كونها إعادة بناء تطوري ديناميكي شبه دائم. تتمسك بها لأهميتها في حياتنا، نتبادلها ونتقاسمها تحت تأثير الشروط والتوجهات الاجتماعية (C. Bonardi, N. Roussiau, op.cit, 07). فالحركية التي

تتمتع بما جعلتها وحدات تتطور باستمرار لتواكب التطورات وتساير الواقع. كما منحها الجانب التطبيقي قوة ومكّنها من تفسير الأنشطة والأحداث الدائرة وممارستها بما تسمح به المعايير والقواعد الإجتماعية.

بالنسبة لـ د. جودلي Jodelet D، التصورات الاجتماعية، نمطا من أنماط التفكير الديناميكي العملي الموجه للاتصال وإقامة العلاقات والتحكّم في المحيط المادي واللامادي. وتؤكد: "التصورات شكل معرفي ذو قصد تطبيقي لبناء حقيقة مشتركة خاصة بجماعة إجتماعية" (D.Jodelet, 1993,36,37). تنتجها وتوزّعها بغرض التحكم في الأفراد وتوجه تصرفاتهم وسلوكياتهم وتكوّن نظرة ورؤية موحّدة لواقعهم المعيش " (C. Bonardi, N. Roussiau, op.cit, 20).

وموسكوفيتشي في تناوله للمظهر الديناميكي للتصورات، وجد أنه يساعد على فهم حيثيات وتداعيات إنتشار ظاهرة جديدة في ثقافة سائدة. ويُفسر كيف تُبنى حقيقة مشتركة في نسيج قيم ونظم الجماعة. ويُوضح لماذا تُقبل بعض المظاهر وتُرفض أخرى. والطريقة التي تتحوّل بها المعرفة العلمية لمعرفة ساذجة (طبيعية) فيما يعرف بمعرفة الحس المشترك؟ (D.Bienaim, O.Salomon, op.cit,3,4). كما يجد ديناميكية التصوّرات، مسألة العلاقات داخل المجموعات التي تحرك النشاط التصوري الموجه لتنظيمها (Ennabihe, 1994,155F).

3- التصورات الإجتماعية لإنتاج المعرفة والعمليات الرمزية

اتجه موسكوفيتشي* لتفسير الجانب الدارج في التصورات الإجتماعية تفسيرا متفردا من النظرية العلمية**. فأصبحت مذ ذاك نموذجا شعبيا(هكذا) يسهّل فهم التصرفات والسلوكيات الديناميكية التي يعرفها عالم اليوم. ويساعد على تكوّن نوع من المعرفة المكّيفة لاحتياجات الأفراد والخاضعة لمعايير وقيم الجماعة. (S.Moscovici, 1976,25) فاعتبرها: "أنظمة ذات لغة خاصة ومنطق

نوعي، نظريات موجهة لكشف الحقيقة وترتيبها، مؤسسة نفسية وشكل من المعرفة الخاصة (...) لأجل لترجمة الواقع (M.S.Chorfi, A.Kouira, 2002, 07). ونماذج تحويل معلومة واقعية وبناء صور مجتمعية، تنتقيها، ترتبها وتنظمها بتوظيف الإرث المجتمعي (S.Moscovici, 1973, 40).

وحددت هيرزليتش C.Herzlich التصورات الاجتماعية، كعملية بناء بهدف إعادة إنتاج المعرفة والعمليات الرمزية" (G-N Ficsher, 1993, 130)، لكن بشكل غير حيادي انطلاقا من معطيات خارجية مستمدة من الوضع الذي يعيش فيه الفرد. أي "إعادة بناء على المستوى الملموس والمنظم حول معنا مركزيا". تُفسر به العملية التصورية، لتفادي البون الشاسع بين الموضوع وتصوره (P. Moliner, 1994, 24, 25). وتنطلق هيرزليتش في تفسيراتها هذه من مبادئ علم النفس المعرفي، فتشير الى فكرة إنتاج معرفة مؤسّسة ومشاركة إجتماعيا. وفي نفس الوقت إنتاج سيرورة نشاط ذهني، يُبنى من الواقع ويسند له معنا خاصا. وتكتب في هذا الصدد (1972): "التصورات الاجتماعية عملية بناء ذهني لشيء مدرك كنشاط رمزي غير منفصل عن الموضوع، ويُدرج في حقل التصور" (F.Ennabihe, op.cit, 148). وإعادة الإنتاج هذه ليست انعكاسا فكريا لحقيقة منتهية، وإنما قولبة ذهنية لموضوع مدرك، خاص بأنشطة رمزية محدّدة للبيئة التي يتطور فيها (C.Herzlich, 1985, 239).، وإذن، التصورات "صور ذهنية واستحضار رمزي للوقائع الغائبة قصد تجريدتها" (J. C. Richard et [al], 1980, 25). تظهر كرمز يحمل معنى إعادة الحضور للذهن، "في إطار التنظيم الذهني والسلوك الإجتماعي الذي ترتسم وفقه. فما نعرفه عن المجتمعات؛ مجموع المظاهر المدركة والمنظّمة بطريقة تتوافق والنماذج المرجعية المنبثقة عنها. (AKouadria, op.cit, 119). والفرد يبني علاقته بالموضوع المتصور بتمثله فكريا، فيراه رغم غيابه لأنه الرمزية التي تصف، تفسر وتورد طريقة العمل لترجمة الواقع والتحكم في البيئة الاجتماعية (Y.Maache, M.S.Chorfi, A.Kouira, op.cit, 07). وتمثلها يبدو

كأشكال متنوّعة، أقل أو أكثر تعقيدا. صورا تحتوي على جملة من المعايير. نظاما مرجعيا يفسر الحدث ويعطي معنا غير المنتظر. تصنيفا يرتب الظروف، الظواهر، الأحداث، الأشخاص... وطريقة لترجمة الواقع ونوع من المعرفة الاجتماعية الملازمة للنشاط الذهني لتثبيت وضعيات، مواضيع، رموز. (Ibid,12)

4- التصورات أنشطة عقلية لإعادة بناء الواقع الاجتماعي

يرى فيشر Fisher G.N. في التصورات الاجتماعية بناء عقلي تنقسمه الجماعة ويتم استنادا لترسانة القيم والمعتقدات والمعايير... التي تدور حول مجموعة من المواضيع ذات المحتويات المنظمة، ما يؤدي الى رؤية موحدة أو حتى متقاربة إزاءها. (G.N.Fischer, op.cit, 118) وتشكل حقيقة مشتركة ومبنية إجتماعيا. تأخذ من مرجعية المجتمع، لإنتاج معرفة. تلعب دورا أساسيا في بلورة تفكير الأفراد، تصوراتهم، تصرفاتهم، سلوكياتهم... (B. Rivière, J. Jacques, 2002, 17) وعملية البناء الذهني، خاصة أساسية تميز كل تصور مرتبط بالإنتاج والتنظيم. فهي مرجعية وسيرورة وظيفية. تتناول خطاب الجماعة اليومي. وتنسق بينها وبين العمليات الذهنية الأخرى مثل الإدراك، التفكير، التركيب، التحليل... ليس كتكرار أو إعادة إنتاج سلبية. فكل تصور يعاد فيه بناء الأشياء في بيئة خاصة وعلى طريقة معينة. ولما يمارس الشخص سيرورة التصور، فإنه يربط موضوعها بالمواضيع الموجودة أساسا في دائرته الذهنية، لكنه يبعد بعض الصفات ويضيف أخرى (D.Lassarre, 1995, 125). لأنها سيرورة وإنتاج إجتماع Processus et produit social، يتم بناؤها أثناء التفاعل، التبادل، الإتصال (w.Doise في سليمان بومدين، 2003-2004، 18). فلا يوجد أبدا تصورات حول موضوع خيالي أو خرافي.

ويرى كايس Kaes أنها "تتاجنشاط الفرد العقلي لبناء واقعه الاجتماعي إنطلاقا من جهازه النفسي، من المعلومات التي جمعها أثناء تاريخه الشخصي وظلت مخزنة

بذاكرته، ومن الخبرة والتجربة التي اكتسبها بتفاعله واتصاله بالآخرين وعلاقاته بهم". (R. Kaes in F. Boubakeur, 2001, 57).

وكايس هنا، يجمع عناصر التصورات في جانبيها الفردي والاجتماعي. فهي نشاط عقلي لبناء الواقع عن طريق النظام النفسي الذي أفحمه موسكوفيتشي كسيرورة في التصورات، والنظام السوسيولوجي الذي ركز عليه دور كايم انطلاقاً من المعلومات المخزنة والقابعة في الضمير أو الوعي الجمع. وصنفه في نظام معرفي شامل ومنسجم. كل هذا لا يمكن أن يأتي من فراغ، وإنما من التجارب الشخصية، ليلوّر موضوعاً ذو دلالة اجتماعية ثقافية، غير مستقل عن السياق التاريخي.

5- تعقد التصورات من منطق إزدواجية الخطاب التصوري

إن منطق الإزدواجية في التصورات الاجتماعية على درجة من التعقيد عند معالجتها، لأنها تحيل لظامين؛ نظام ذو نسيج سيكولوجي مستقل ونظام اجتماعي خاص بالمجتمع. ووضعتها المتداخلة بين سلسلة المفاهيم السوسيولوجية والمفاهيم السيكولوجية أدخلتها في علاقة (Moscovici 1973, 362)، أو كما يقول موسكوفيتشي: "التصور نتاج التفاعل بين البعدين؛ البعد السيكولوجي والبعد السوسيولوجي" (Y. Maache, MS. Chorfi, A. Kouira, op.cit, 7).

والتصورات خاضعة لمنطق آخر من الإزدواجية؛ المنطق المعرفي والمنطق الاجتماعي، ما صعب من تحليلها. بيد أن هذه الإزدواجية مكنت - من جانب آخر - من فهم لماذا في إمكاننا إدراج ما هو عقلائي وما هو لاعقلائي، قبول التناقضات الظاهرة ولا منطقية الأحكام التي تصدرها مما جعل مدلولها عملية بديهية. يعبر من خلالها الشخص عن تصورات التي تمنحها إياه تجاربه وخبراته، متخذاً من النظام الرمزي، مرجعيته (F. Ennabihe, op.cit, 155).

والحقيقة، هذه التناقضات واللامنطق، مسألة ظاهرية فقط. فالتصورات، يعتقد آبريك "مجموعة منتظمة ومتلاحمة. فهي قواعد وظيفية متمفصلة بين السيورة النفسية والسيورة الإجتماعية، ما جعلها محددة تحت تأثير سياق مزدوج، يسمح بالمرور من الدائرة الحسية الى الدائرة الفكرية". وأن التناقض (الظاهر) ليس حقيقة أو واقعا، وإنما طبيعتها هي التي تفرض هذه الوضعية. ومن أجل فهم محتواها المزدوج لابد من النظر إليها من ناحيتين:

- من ناحية السياق الخطابي، فبفضل طبيعة إنتاجه، تتشكل وتكتشف التصورات، لأنه يسمح بالولوج إليها. فمن الضروري إذن تحليله للبلوغ الى المحاجة والإقناع.
- من ناحية السياق الإجتماعي، فالأيديولوجية من جهة، والمركزية التي يحتلها النظام من جهة أخرى، راسيتان في المعاني المتداخلة في حقل التصور".
(Abric.C.J,1994,12,15)

والإزدواجية تلمس جوانب أخرى من التصورات الاجتماعية. فهي عملية إدراكية - فكرية ذات منشأ حسي وذهني في آن واحد. وأن الفكر عملية مجردة لا تتطلب حضور الموضوع. لكن الإدراك حسي يفرض ذلك. فنلاحظ أنها تشمل العمليتين معا. أي حضور الموضوع لتتشكل صورة عنه ثم غيابه حتى يتم تصوّره. ومن هذا المنطلق، تسمح بتوليد الوضعيات، حيث توجد مبادئ تنظيمية متقاسمة ومشاركة. وهي قواعد تنظم التفاعل الإجتماعي وتمكن من التعبير عن الاختلافات الفردية (S.baggio,op.cit,95, 96)

6- الإتجاهات لقبول أو رفض موضوع التصور

يعطي موسكوفيتشي أهمية قصوى للإتجاهات حين تشكيل التصورات. بله اعتبرها أساسية في بلورتها. فتقول هيرزليتش: "إنه استجابة مسبقة وتحضير مباشر

للفعل. فعلاقات أعضاء الجماعة مشبعة بالتصورات التي تُحدّد مسبقا اتجاه ما يجبه الشخص وما يمحقه، ما يفعله وما يقوله في ظروف معيّنة (Y.Maache, .M.S.Chorfi, A.Kouira, op.cit,10). والإتجاه بناء مؤسس من ثلاث مكّونات رئيسة ذات علاقة تبادلية وهي؛ المكّون الوجداني الذي يشير للعواطف والمشاعر لما يحسه الفرد من نفور أو انجذاب نحو الموضوع (S. Baggio, op.cit, 98) وميله واستعداده للاستجابة له. أي نواياه ومقاصده التي تشير لمكّونه السلوكي. فبفضل التصورات يمكن تحديد الحالة التي تشكّل إطارها. في حين يتضمن المكّون المعرفي الذي يشير للأفكار التي يحوزها الشخص والمتعلقة بموضوع التصور" (منال طلعت محمود، 2002، 21) ما يعتقد، بناء على المعلومات المتوفرة سواء كانت حقيقية أو غير حقيقية (منى محمد إبراهيم البطل، دس، 173). ويساعد كل مكّون الآخر على الإتفاق بين الإتجاه والسلوك، لأنه تنظيم مكتسب أو متعلّم. يتسم بالاستمرار والديمومة وانسجام مواقف الفرد ومشاعره نحو الموضوع. ويساعد على التنبؤ بسلوكه ويستجيب له استجابة نوعية، كأهم محدداته إذا كانت هذه المشاعر متسقة مع المكّون المعرفي ومرتبطة به (قباري محمد اسماعيل، 1984، 71).

واعتبر تيفاني E.Tefani وراطو Rateau (2001 و 2000)، إنطلاقا من مسلمة أن الإتجاه يعد الجانب القيمي للتصورات وهو تابع لها والعكس ليس صحيحا. يظهر كبعد أولي مقارنة ببعدي المعلومة وحقل التصور. ونستخلص، يقول هيزليتش وموسكوفيتشي، أنه البعد الأول المؤلّد للتصورات الاجتماعية، لكن يجب النظر لشروط ظهورها، خاصة شروط الإتفاق، إتخاذ الوضعيات، أفعال الجماعة، فإذا تزامنت على المستوى المعرفي، فذلك لأنها تهيئ مباشرة للسلوكيات الأسبق في الظهور، (C.Herzlich, 1985, 311) وتعبيرا عقليا وإن خضعت لحمولة انفعالية.

وفي المقابل، الإتجاه تعبيراً عاطفياً في جانب من جوانبه. كما أنه لا يمكن أن يكون إلا نحو موضوعاً "بارزا" (مركزياً). فلا يتشكل الإتجاه إزاء موضوع غير ذي بال. (D.Lassarre,op.cit, 124-125) في حين تُبنى التصوّرات على نظامين أحدهما مركزي والآخر محيطي.

7- المعلومات ميكانيزم لإثراء محتوى التصور

يحلينا مصطلح المعلومة لنظام معرفي حول موضوع اجتماعي يخص جماعة ما. تتشكل من التجارب، نماذج التفكير، التربية، الاحتكاك الخبرات... ويعتقد كودل Code1: "أما مجموعة النشاطات التي يعالجها الجهاز النفسي، من طريقة استقبالها، تحويلها، تنظيمها، انتقائها، وكيفية بنائها من الحقيقة والواقعة (1984,360S.Moscovici) وعليه اقترح مولينير Moliner: "تبنى معلومة تمكن للأنشطة المتعددة من التصنيف، التفسير، التقييم... تُكتسب من مصادر ثلاث: تجارب والملاحظات (رأيت، عملت)، الإتصال (سمعت، قيل لي) والمعتقدات (أظن، اعتقد) (P.Moliner,1996,52). كما تعطي للتصوّرات معنا خاصاً تبعاً لجملة من المتغيرات، لأنها تحتوي على عناصر ذهنية بدرجة عالية، وعلى المعارف الذاتية والموضوعية، ونتاج الأفكار كالعلوم، الأيديولوجيات، الثقافة... (AKouadria,op.cit, 110).

والمعلومة الخاصة بموضوع التصور، ملازمة لتعقده، بسبب وجود الحواجز الإجتماعية والثقافية وتعدد الوسائل والدلائل. لكن يحاول الأفراد الوصول إليها لتفادي تباين التفسيرات إتجاه ظاهرة من الظواهر، ومن ثم إنحراف وتشويش الفهم أو تحوّل وانفلاته. (P. Moliner,1994,34) وإذن، هي نشاط يقوم على جملة من

العوامل، فمن لا يملك المعلومة حول موضوع ما لا يمكن أن يملك تصورا، ولو جزئيا إزاءه.

وفيما يخص هذا البعد، يتعلق الأمر بالمعلومات المكتسبة والمجمعة كميًا وكيفية حول موضوع إجتماعي، أصيل أو متداول أو قالبا جاهزا. فبالرجوع لنتائج دراسة موسكوفيتشي، نجد أن لكل مفردات العينة طريقتها الخاصة في "هضم" التحليل النفسي"، بسبب اختلاف المعلومات المكتسبة حوله. فالليبراليون ينظرون إليه كأداة لتحسين مستوى الطبقة الكادحة. وعند الشيوعيون طريقة فردية ومخادعة لا تمنح الإعتبار للحقائق الإجتماعية. ويشكل عند بعض المفردات، منظمة خداع واحتيال أو إحلال خلقي "أو" موديل أمريكي "أو" اختراع ألماني " (S.Moscovici, 1973, 360).

8- حقل التصور مجال تنظيمي للمعلومات

مفهوم حقل التصورات، من المفاهيم المعقدة. فهو تعبير عن فكرة تنظيم محتوياتها ومضامينها. ويوجد حينما" توجد وحدة تراتبية أو هرمية للعناصر". لكن هناك أيضا خاصية الثراء ومقدار "غنى" هذا المحتوى ومميزاته النوعية والذهنية. وفي هذه الحالة، يعمل ولو بأقل كمية ممكنة من المعارف وتوفير حد أدنى من المعلومات التي يستدخلها الفرد حتى يساهم في تنظيم التصورات (C. Herzlich, 1985, 310).

وحقل التصورات، كما يعبر عنه موسكوفيتشي " مجموعة من الآراء المنظمة" التي تعمل على استدخال المعلومات التي يجوزها الفرد وترجمها، حتى تعبر عن الحالة النفسية المعقدة، كما أنه يظهر ككل موحد ومميز للواقع الإجتماعي المعيش. (S.Moscovici, 1976, 118) لأن حقل للتصور بالضرورة حقلا إجتماعيا، تدور فيه الحقائق التي تؤسسها الجماعة. فكل عملية تصور، لها دافع اجتماعي، وإن كانت خارج هذا الإطار، كأن يكون الموضوع، موضوعا بيولوجيا، فيزيائيا، طبيعيا،... والتحكم فيه يكون تحت رهانات الجماعة ومعرفتها به ومدى إطلاعها

عليه. (P.Moliner,1996,27). سواء كان موضوعاً أصيلاً متجذراً في ثقافة المجتمع ومرتسخاً في تراثه أو دخيلاً مقبولاً أو مرفوضاً، يلقي استحساناً أو مقاومة. ويختلف حقل التصور حسب معطيات البيئة الاجتماعية عند أفراد الجماعة الواحدة أو من جماعة لأخرى، بالنظر للمعايير الخاصة أو محكات معينة. ففي دراسته، لاحظ موسكوفيتشي، أن حقل التصور يضم بعض المظاهر المشتركة عند أصحاب المهن الحرة في إجاباتهم على التحقيق، كصورة المحلل، ممارسة التحليل النفسي، تقييم العوامل الناتجة عن انتشاره... وبالمقابل وجد تبايناً داخل نفس الجماعة تبعاً للمعايير الأيديولوجية حول علاقة كل من التحليل النفسي، القضايا الاجتماعية والعمل السياسي. فيرى اليساريون انفصال التحليل النفسي عن المشاكل ذات منحنى آخر غير المنحنى المعروف. ومن جهتهم اليمينيون والمعتدلون يقولون أن المشاكل النفسية، الاجتماعية والسياسية يمكن أن تكون متصلة وتندرج في صورة مترابطة، فتتغلب العوامل الأيديولوجية في بناء حقل التصور (C. Herzlich ,op.cit, 310).

والأبعاد الثلاث سمحت بتحليل مضمون التصورات، ومن ثمة القيام بعمليات المقارنة بين مواضيعها المختلفة وإتاحة تنظيمها داخل الحقل. إلا أنها واجهت حالتين متناقضتين؛ من جهة يُعبر عنها من خلال موضوع التصور، وهذا واضح في إجابة عينة موسكوفيتشي اتجاه التحليل النفسي. لكن بعض المواضيع لا يكون فيها الاتجاه أساسياً كما هو الحال في إجابات تصور الذكاء في دراسة كاروقاتي وموقني أو دراسة جودلي حول الأمراض العقلية (P. Moliner,1996 ,53).

9- التوضيح والمرساة لترويض التصورات الاجتماعية

L' ancrage & L'objectivation

يحتّم تأسيس التصورات الاجتماعية بدء تنفيذ سيرورتي التوضيح والمرساة اللتان تبرزان الارتباط المتبادل بين النشاط السيكلوجي والشروط السوسيولوجية التيتمارس فيها، وتوضح أسلوب المجتمع في تحويل المعرفة الى تصورات (S.Moscovici,1984,367).فالتوضيح كما حدده موسكوفيتشي، صورة وبناء يحوّل الشيء المجرد لشيء ملموس. والمرساة تدمج الشيء المتصور في نظام فكري موجود سلفا (Y AMAache, M.S.Chorfi ,.Kouira08,op.cit.).

وترى جودلي أن التوضيح والمرساة يبدوان كوظيفة أساسية في التصورات الاجتماعية، توضح خاصية مهمة في المعرفة. وتعمل بقوة على ترويض الجديد،مواجهة الحدث غير المنتظر وغير المؤلف بتحديد السير السابق على العلاقات المترسخة إجتماعيا (W.Doise, A.Palmonari,1986,22). وتعتبره عملية تصويرية وبنائية لتطبيع المفهوم المجرد وتحويله لموضوع واقعي، لخدمة حاجيات، متطلبات ورغبات الجماعة.(F. R. Lenoir,2000,114.).

9-1- سيرورة التوضيح لتحويل المجرد إلى واقع إجتماعي ملموس

حين نأخذ سيرورة التوضيح على حدة، نجد أنّها تعطي نسيج مادي للأفكار حتى يُستدخل موضوع التصور. فالأفكار والمفاهيم تصبح صورا تحيل لوقائع اجتماعية، يذهب موسكوفيتشي لاعتبارها: "الإزالة التدريجية للمعاني الزائدة بتجسيدها في الواقع"يستعملها الفرد لترجمة الشيء المجرد وفقا لمرجعياته الثقافية وإرثهم الحضاري.(F.Ennabih) op.cit,160, 161 كما أن إضفاء البنية المادية على المفاهيم والتنسيق بينها وبين موضوع التصور، يجسد المخططات التجريدية ويعطي التصورات صورا مادية كون التوضيح "بناء شكلي للمعرفة". (D. Jodelet in) (S.Moscovici, 1977, 371

ويمكن تحديد سيرورة التوضيح بجملة من العمليات التي تسمح للفرد بتحويل المعلومة، تغيير المعرفة المنطقية من خلال عملية الترتيب والتصنيف... الى صور ومعاني كي يتسنى حيازة موضوع إجتماعي معين. فينتقي الفرد المعلومة ويؤسس تلك المسندة للموضوع ويطبّعها فيما تطلق عليه جودلي. (1984) البيلدجية الاجتماعية La biologisation du social، فيُدرج الموضوع المكفول في التصورات الخاصة به. (Lenoir,op.cit,114F.R..)

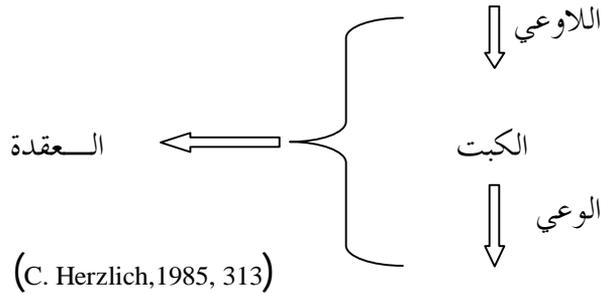
وبما أن التصورات تجعل الجرد والملموس قابلان للتبادل بطرح الفائض من المعاني لتشيئها (Ibid,367)، فسيرورة التوضيح في غالب الأحيان غنية بالعناصر الأصيلة الراسخة، ما يمنحها التماسك والتلاحم المطلوبين (143 D. Lassarre,op.cit,) فالأمر يتعلق بإعادة تحديد الموضوع وخصائصه، وتقليص الفارق الذي قد يوجد بين الفكرتين القديمة المتجددة والجديدة الدخيلة. (17F.Boubekeur,op.cit,) وتمر الأنشطة في هذه السيرورة وفق جودلي بثلاث مراحل:

- يتم في مرحلة البناء الإنتقائي de la construction sélective phase، تصفية المعلومة على أساس المعايير الثقافية أو القيمة. فالفرد يحتفظ فقط بتلك التي تهمه ويُبعد المتناقضة مع مصالحه وحاجياته، ولو كانت مرتبطة بموضوع التصور. وإذن الولوج للمعلومة لا يتم بطريقة متساوية، لأن العوامل المرتبطة بالشخص تتدخل في بلورتها وتحديدها مثل الخبرة، الجنس، السن... (op .Cit,162F.Ennabihe,) ومن ثم، يقوم بعملية تصفية أو فرز، بتشويه أو تعديل أو إقصاء أو حذف أو زيادة بعض المعطيات بما يقتضيه الإطار الايديولوجي، الثقافي، القيمي... (G -N. Fischer, 131, 2005) أو كما ترى جودلي تُنتقى المعلومات، تبعا للقيم والأطر الثقافية والاجتماعية السائدة والمحكات المعيارية والقيمة المتوارثة. ونتائج دراسة

موسكوفيتشي دليلا واضحا على ذلك؛ فالعينة نسيت المعلومات المتعلقة باللييد ولارتباطها بالعملية الجنسية، في حين احتفظت بمفاهيم كاللاوعي، العقدة، الكبت (S baggio,op.cit,96). أما المتنحية عن الإطار الاجتماعي، تكتسب صفة البداهة شيئا فشيئا وتحوّل العناصر الفكرية الى عناصر واقعية.

- في مرحلة التخطيط التصوري phase de schématisation structurante وبعد أن تُنظم المعلومات المنتقاة والمحتفظ بها حول التصورات وتعمل البقية يُعاد إنتاج بُنية مفاهيمية ملموسة، سهلة وملتحمة مع المعايير والثقافة التي تدرج تحتها. فالنواة التصورية للتحليل النفسي في دراسة موسكوفيتشي، تركز على التعارض بين جزئين، جزء خفي وجزء ظاهر فيما يعرف بالشعور واللاشعور أو الوعي واللاوعي. والضغط الواقع بينهما يؤدي للكبت وبالنتيجة لعقدة نفسية. (Ibidem) والشكل الموالي يوضح الفكرة.

مخطط رقم (01) يمثل النواة الصورية في دراسة موسكوفيتشي التحليل النفسي

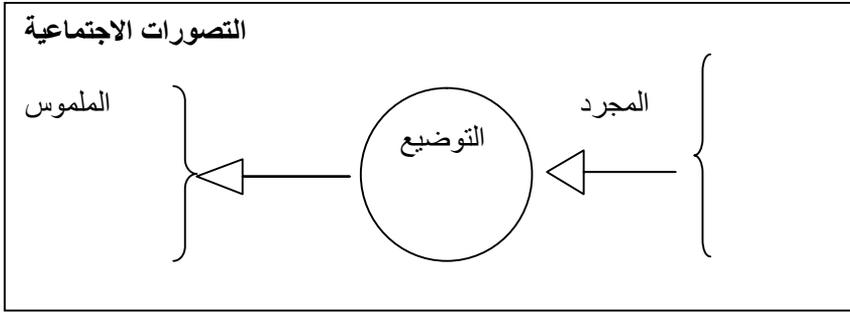


-عملية التطبيع Naturalisation، نموذج تصويري يستدرج عناصر التصور في "النسيج الجماعي". ففي دراسة موسكوفيتش (1976) التطبيع يضفي على النموذج التصوري استقلالية "الحس المشترك" وبداهته. (F. Ennabihe , op.cit, 162- 164) فلما تنتشر عناصر المخطط البنائي، يفقد المفهوم خاصيته ويعاد

بناؤه، ليظهر في وحدات مستقلة تتبناها الجماعة. وحقائق تتصرف على أساسها وتصبح بديلة عن الموضوع الأصلي. أي التطبيع يجعل المفهوم بديها (Seca,2002,62-64J. M.).

وقد أشـار س. بومدين S.Boumediane أنه عندما ينتشر موضوعا ما في المجتمع، يصبح بديلا عن الموضوع ذاته. أي يصبح موضوعا طبيعيا وتصوره بالتالي بديها. وهذا التحول يجعله حقيقة موجهة لإدراكنا وأحكامنا وسلوكياتنا. إن هيرزليتش عند دراسة التصورات الاجتماعية للصحة والمرض، أكدت أن هذه التصورات تبنى عادات بعيدة عن المعرفة الطبية. (سليمان بومدين، م س د، 25) والمخطط التالي يوضح ما سبق عرضه.

مخطط رقم (02) يوضح وظيفة سيرورة التوضيح داخل التصورات الاجتماعية



(مخطط من إعداد الباحثة)

9-2- سيرورة المرساة لتطبيع الموضوع الجديد في سياقه المرجعي

تعد المرساة، السيرورة الثانية في التصورات. وتعني: "وضع الشيء الجديد في إطاره المرجعي لأجل تفسيره". فيسمح بدمج الشيء غير مألوف أو غير المعروف في البيئة الاجتماعية ضمن شبكة التصنيفات والثقافة ومقابلته مع التصنيفات والثقافة السائدة أو المنتشرة. (W.Doise,A.Palmonari,op.cit,22) فيرتب الشخص المعلومات المتوفرة لديه مسبقا، يرسخ المجردة والمعقدة والجديدة، والتي لا يمكن إدراكها بوضوح. ويجوؤها لصور ملموسة دالة في محاولة لتمثيلها فيما بعد في السياق المرجعي الاجتماعي المتجذر. (op.cit,23, 24B). (Rivière,J. Jacques, إذن سيرورة المرساة تُعنى بتجدر وتحويل التصورات في ثقافة المجتمع حتى يمكن إدراجها للتحكم فيها، واستدخالها في نظام المجتمع القيمي. ولقد حدد موسكوفيتشي المرساة في محاولة لجعل الممارسات غير المعروفة وغير المحددة أكثر ألفة. (N. Blanc[et Al],2006, 20) فتحدث عن ثلاث نماذج تضع بها السيرورة هي:

أ- سيرورة إسناد معنا للموضوع المتصور. فالقيم المعترف بها اجتماعيا، تساهم في خلق ما أسماه شبكة المعاني "حتى يتحقق ترابط عناصر التصورات، وتوضح العلاقات الموجودة بينها لتضفي بهذا معنا عليه. فالتحليل النفسي أخذ منحاً مختلفاً عما كان يحمل حينما كان مفهوما مجردا قبل إقحامه في البيئة الاجتماعية الباريسية.

ب- سيرورة التفسير لمعرفة الذات والآخر، فلا يمكن إسناد وظيفة لموضوع التصور، سوى من خلال نموذج تصوري مؤسس

ومعروف، لتصبح المرساة وسيط لتعديل العلاقات وتقييم السلوكيات والأوضاع (F. Ennabihe,op.cit, 165-166). فالعنى المسند لموضوع التحليل النفسي في

الدراسة السابق الإشارة إليها، لم يكن ذاته عند كل العينة التي فسرتة بوسائل متعددة تبعاً لميولاتها الدينية وتطلعاتها السياسية واتمائها الاجتماعي... (99, op.cit. (CBonardi, N Roussiau).

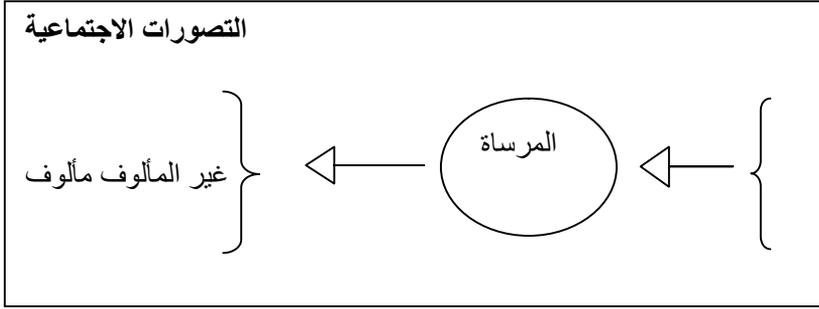
ج - سيرورة الإدراج، بحيث ترتب المعلومة الجديدة في إطار الفكر المعروف لتفسيرها وتعديلها كي تصبح أداة لتحليل الواقع وتفسير الفعل الاجتماعي واستدخاله في جهاز الاستقبال. ففهم الشيء الجديد، يجعله شيئاً خاصاً، يُشرح ويُصنف ضمن اللغة المستعملة لأجل المقارنة، المماثلة، الترتيب، فرض الأحكام.. كما قد يخلق نوعاً من الإضطراب في المستحدثات، حيث يثير بعض التناقضات. وهذا الذي يفسر لماذا تميزّ التصورات بالإبداع، الليونة، الصلابة، الحركية... داخل نفس النظام (F.Ennabihe, op.cit, 165-169) وسيرورة المرساة تحمل مظهرها آخراً أو ضحت أهميته الأبحاث الحديثة في مجال التصورات. والأمر لا يتعلق مثلما هو الحال في التوضيح ببناء المعرفة فقط، وإنما بدمجها في الفكر الاجتماعي المشكّل. وأن الشيء المستحدث قد يغيّر محتوى الخبرات ويحوّل الأطر والمعايير المعروفة. (D. Jodelet in S. Moscovici, op. cit, 370, 371) فكانت النتيجة، أن التصور يستثمر معاني محددة مستنبطة من التصنيفات المدرجة. فهي ماهرة بالية خاصة لترجمة وفهم نوع العلاقة فرد- موضوع. وتأسيس المعارف حولها لاستعمالها في تحليل الحقل الاجتماعي الذي يتموقع فيه. وإن كانت سيرورة التوضيح ضرورية لتشكيل التصورات، فالمرساة تمكّنها من حيازة تصوّرين لذات الموضوع:

- تصوّر وظيفي، لأن الموضوع يستثمر المعاني الخاصة المستوحاة من تصنيفات يستدخلها الشخص. فمنذ ظهورها، تكون مزوّدة بآلية خاصة كأداة لترجمة وفهم نوعية العلاقات داخل المحيط.

- تصوّر اجتماعي، لأن عملية المرساة آلية للتفاهم. فتصوّر نفس الموضوع عند شعوب مختلفة يلعب دوراً محدد للعلاقات بينها. بيد أن هذه الآلية ليست

بالضرورة مستعملة بنفس الطريقة من قبل الجميع. (P. Moliner,1994,28-30)
ونلخص ما سبق طرحه في الشكل التالي:

مخطط رقم (03 ب) يمثل وظيفة سيرورة المرساة داخل التصورات الاجتماعية



(من إنجاز الباحثة)

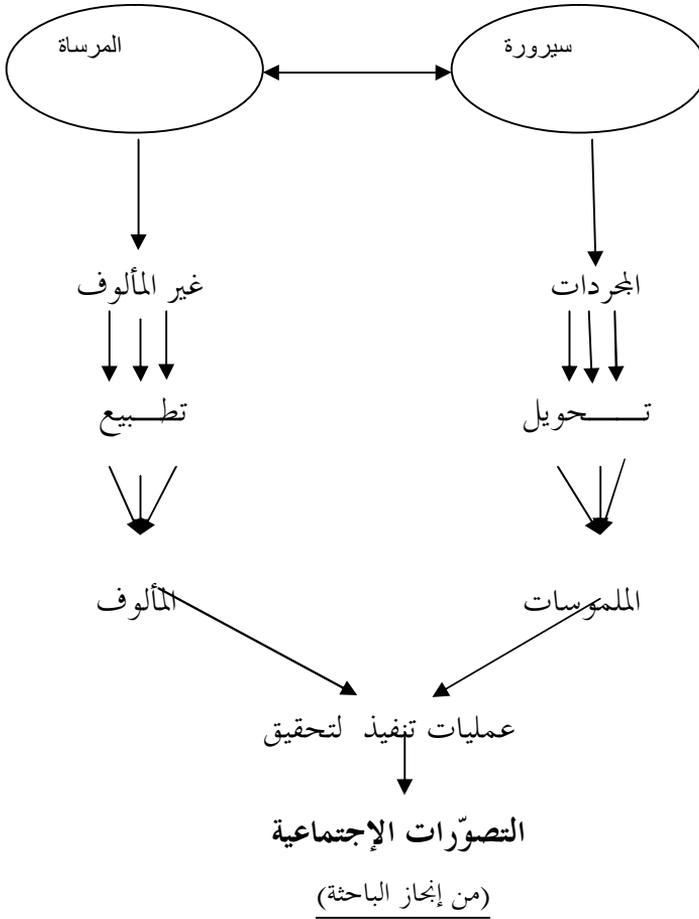
وكما هو معلوم، المرساة تتدخل في أعلى وأسفل بنية التصورات حتى تضمن إدماجها في العملية المجتمعية. ففي الأعلى تتجذر في شبكة المعاني التي تسمح بتمركزها في قيم الجماعة، ومن ثم إعطائها التلاحم المطلوب. وعلى هذا المستوى تلعب دورا حاسما يحقق تسجيلها في النظام المفاهيمي. فبفضل عمل الذاكرة؛ الفكرة المشكّلة تضغط على الفكرة المشكّلة لترتب الجديد في الإطار القديم. أما في الأسفل، تضيف قيمة وظيفية لجعل المعرفة شيئا ماديا (F. Ennabihe, op cit, 164, 165).

فيقول موسكوفيتشي: "الموضوع الجديد يُفسّر وفقا لفلسفة الحركة الفكرية والأيدولوجية السائدة في وقت ما وفي مجتمع بالذات" (S. Moscovici, 1990, 327).

والمرساة، لا تقتصر على المستوى المعرفي فقط، بل تشمل الاتجاهات، السلوكيات، التصرفات والقيم... لتضيف على موضوع التصور معاني ودلالات تبرز هوية الأفراد وشخصياتهم وثقافتهم... وإن المعاني المعطاة تصطبغ بالصبغة القيمية المحلية. ومن ثمة، وصف موسكوفيتشي كيف يتم نشر النظرية العلمية المتمثلة في التحليل

النفسي في المجتمع الفرنسي داخل التصنيفات القائمة والأحداث الواقعة... (J. C. Richard et [a], op.cit ,128) فعمل الناس على تأويلها لخلق لغة موحدة وإدراج مرجعية مشتركة بامتلاك الموضوع الجديد وجعل العناصر الغريبة مألوقة. Familiarisation de l'étranger بعملية قلب Inversion بعض العناصر وتعديل Normalisation بعضها الآخر 6-62, op cit, J M Seca .

مخطط رقم (04) يمثل سيرورة تطور التوضيح والمرساة داخل التصورات الاجتماعية



10-النظام المركزي والمحيطي لهندسة التصورات الاجتماعية

central et périphériques.

منحت المقاربة البنوية للتصورات إطار تحليلي سمح بفهم التفاعل بين الوظيفة الفردية والسياق الاجتماعي الذي تتطور فيه (P. Moliner, 1996, 35). وتكمن أصالة جزء كبير من هذه المقاربة في الفائدة التي تدرها على الجوانب المعرفية. فحاول روكات (Rouquette, 1990) وجميلي Guimilli (1994) قولبتها كبنية تحتية للتصورات، فلم يوليا إهتمام لموضوعاتها وإنما لبنيته (S. Baggie, op. cit, 99).

والقول أن التصورات الاجتماعية "عملية مبنية"، تأكيداً على أنها تتشكل من عناصر "مرتبطة داخليا". والفكرة الأساسية في هذه البنية تظهر مشكلة من نظام ثنائي. أي تدور حول مكونين إثنين، لكل منهما خصائصه، لكنهما متكاملان، مما يفسر الإزدواجية التي تعرفها؛ فهي ثابتة ومتحركة، صلبة ولينة... وهذان المكونان يعرف أحدهما بالنظام المركزي الذي ينظم المرجعية الشاملة للمظهر المعرفي والمصنف على هذا الأساس. وينظم العلاقات التي تربط هذه العناصر في النظام المحيطي وهو ثانيهما، والأقل ثباتاً واستقراراً، والمكون من عناصر (مبنية)، تبرز المعنى وتشبه لحد ما لعبة الألغاز الخشبية Puzzle التي لا تأخذ القطعة فيها معناها الحقيقي ما لم تتموقع في مكانها المناسب. وتحديد نوع العلاقات بين النظامين يتم بالنظر الى التصورات على أنها معارف منظمة ومتعدد، يمكن أن تكون موجهة (إستدخالية، سببية، ترتيبية) أو تناظرية (تعادلية، تشابهية، تضادية). (M-L. Rouquette, P. Rateau, 1998, 29, 30).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى التفريق في بداية الأمر بين النظامين المركزي والمحيطي، كان يتم على أساس الظهور كأهم مؤشر التمركز. بيد أن

الدراسات الأميركية، لاحظت أن المؤشر البارز في الخطاب المنظم له، مثلما أثبتت دراسة جودلي من أن إبتعاد الناس عن ذوي الأمراض العقلية كان الخوف من العدوى، بالرغم من أن هذا الإعتقاد لم يظهر عند استجواب العينة (-63, 1994 Moliner, 64P).

10-1- النظام المركزي أساس استقرار التصورات الاجتماعية

تعود الإرهاصات الأولى في دراسة التغيرات الحاصلة على التصورات الاجتماعية لـ ج.ك. أبريك (Abric J.C. 1976)، الذي لم يكتف بتوصيفها كسيرورة بناء اتفق حولها الباحثون، بل أضاف إليها فرضية النواة وبيّن تطورها تحت زاوية النظام المركزي الذي اعتبره أساسي في تشكيلها. فيؤكد: "بنية التصورات المركزية مشكّلة من عنصر أو عناصر تمنحها معنا ودلالة. (P.Moliner, 19, 1996) علما أن أبريك استوحى في جزئية كبيرة أعماله من تحليلات موسكوفيتشي. وأسند إليها الدور الأساسي واستدخلها في التصورات لأن بعض عناصرها تنظم بطريقة بلورية Cristalisee وتلعب دورا يختلف تماما عما تلعبه عناصر أخرى. (Ibid, 32)

وفكرة التمرکز ليست جديدة. فقد ظهرت قبل ظهور التصورات الاجتماعية ذاتها. واستعملها مؤلفون من أمثال ف. هيدر (Heider, 1927, F) في دراسته لظاهرة "الإسناد". وتوصل إلى أن الأفراد يميلون لإسناد الظواهر التي تبرز في محيطهم إلى نوى (جمع نواة) مركزية (...). تحدد معنى الأحداث المنتظرة وتسمح بترتيبها ترتيبا معينا، حتى يمكن فهمها. وبعد فترة من الزمن استعمل آتش (Asc, 1946) مصطلح "التنظيم المركزي" في دراسته حول كيفية تشكيل الشعور نحو الآخر حينما اقترح على عينته وصف "الشخصية" من خلال قائمة تحتوي على سبع

صفات. فأكدت النتائج، أن كل صفة تؤدي لتغيرات جذرية في رأي الشخص حول الشخصية المقترحة (P. Moliner, 1994, 59). أما موسكوفيتشي، فقد استعمل المفهوم تحت مسمى النواة الصورية أو الشكلية *Noyau figuratif*. ويرى أنها نواة بسيطة، ملموسة ومنسجمة مع المعايير الإجتماعية. تحمل صفة البداهة، بل وتحوّل الى الواقع نفسه. بحيث تشكل الأساس الثابت في التصورات والإطار الذي يترجم، يرتب ويصنف المعلومات الجديدة التي ستوجه السلوكيات وتعطي معنى للأحداث (P. Moliner, 1996, 3). والنظام المركزي محدد بتزاوج ثلاث عوامل أساسية هي:

- طبيعة موضوع التصوّر.

- العلاقة بين موضوع التصوّر وأنظمة الجماعة، قيمها، معاييرها.

- البيئة الأيديولوجية المنتشرة في فترة زمنية ما. (J.C.Abric, 1994, 19)

وإن بقي الإطار النظري مرتبطاً أساساً بأعمال موسكوفيتشي، فالبحث عن التحليل المنظم الذي شكلته أعمال أبريك، يُعد مصدر الجذب الذي خرجت منه المقاربة. فنلاحظ أولاً، التحوّلات المنهجية، حيث لجأ للطريقة الإستقرائية باتباع الخطوات التجريبية. واقترح صراحة تغيير مواضيع دراسة التصورات النظرية باستثمار ميداني تجريبي. وأكد في المقاربة الأولى على مفهوم النواة التصويرية التي استحضرها موسكوفيتشي في أعماله. لكنه بدله الى النوع العملي محتوي التصوّر. وفي كلتا الحالتين تُوجد منظومة من العناصر. بيد أن النواة التصويرية، أصبحت عنده نواة مركزية. وعرفها بأنها: "كل عنصر (عناصر) يُعطي للتصورات معناها وتلاحمها". بمعنى أنه في حالة التغيرات، يستبدل الفرد إذا استطاع عدداً قليلاً من عناصر الأصيلة أو المركزية، يعدّل أو يحوّر التي تحظى بقيمة جوهرية أو ضرورية أو ذات أهمية أو طابع خاص به وجماعته. وقد يستغنى عن بعض العناصر

الجانبيية. (C. Bonardi, N. Roussiau, op.cit, 55-59), والمشكلة من واحد أو أكثر ممن تحتل مكانة مرموقة في تأسيس التصوّر. فبعضها -حسب أبريك- المحددة بمضمون واحد، يمكن أن تكون مختلفة جذريا عندما تتباين عناصرها المركزية. إن الحجم الكيفي، وليس الكمي، الذي يمكن أن يكون مؤشرا كافيا لمركزية العناصر. والحضور القوي لعنصر معين، لا يحدّد التمركز، فيمكن ظهور عناصر لها نفس القوة الكمية، بيد أن بعضها نواة مركزية والبقية محيطية.

(C.J.1994, Abric, 19-23) كما أن ارتباطها مع النواة ليس ما يجعلها مركزية بالضرورة، وإنما لأنها مركزية في حد ذاتها. (C. Bonardi, N. Roussiau, 61 op.cit, والأهمية التي تُمنح لعنصر من عناصر النواة المركزية، لا يعود بالضرورة الى تكراره أو شدته في خطاب الأفراد، بل لنوعيته وقيّمته عندهم. ففي دراسة جيميلي وراطو (1998) حول تصوّرات الجماعة المثالية (Groupe ideal)، تمثلت النواة المركزية في عنصرين هما؛ المساواة (Egalité) والصدّاقة (Amitié)، وأثبتت النتائج أن عنصر (الصدّاقة) عنصرا غير قابل للتفاوض أو المراجعة عكس عنصر التسلسل أو الترتيب (Hiérarchie).

وحسب فارجيس (Verges)، موضوع التصوّرات، يمكن أن يدور حول العناصر المعيارية المنظمة للوضعيات المتباينة أو العناصر الوظيفية المنظمة للممارسة. (L.M. Rouquette, P. Rateau, Op.cit, 49) وعليه، النظام المركزي يمكن أن يحمل - حسب طبيعة الشيء المتصوّر - بعدين اثنين هما:

- البعد الوظيفي، المسئول عن السلوكيات والتصرفات المتعلقة بموضوع التصورات. ففي حالة النشاط المهني؛ العناصر ذات القيمة الزائدة، تمنح أهمية خاصة للعناصر ذات الفاعلية الكبرى والأكثر ملائمة لتشكيلها. ويكون هناك معيارا للانتقاء كما هو الحال بالنسبة للمواقف ذات الأهداف "العملية" التي تشكل "النواة المركزية". وهذا ما تؤكد أعمال أوشانين Ochanine (1981) التي توضح أن العناصر ذات التقدير العالي في تصورات الأفراد هي التي تلعب دورا في تحديد المهنة أو الوظيفة المرغوبة.

- البعد القيمي أو المعياري، تتدخل فيه مباشرة الأبعاد العاطفية، الاجتماعية، الأيديولوجية... ودراسة لوف Lauve وشامبار Tchambar (1963) "التصورات حول المرأة في المجتمع" التي تنتظم حول ما أسماه النواة الصامتة المتكوّنة من آراء ساذجة، ذات قيمة عاطفية عالية. ودراسة فيرجيس (1992) حول "تصورات المال" المتعلقة بأحكام منبثقة عن علم الأخلاق والمركزة على بعض القيم ذات العلاقة بعالم المال والأعمال لاتصالها بغايات عملية تطبيقية كالشراء. (J.C.Abric, 1994, 22-24) ويمكن استخلاص خصائص النواة المركزية في النقاط التالية:

- 1- إرتباط النواة بالظروف التي تتشكل منها التصورات، فلا تخرج عن إطار القيم، المعايير.
- 2- تحدد النواة تجانس الجماعة. وتعمل كقاعدة مشتركة تلعب دورا معتبرا في تثبيت وتناسق التصورات الاجتماعية، وتضمن استمرارها إلى حد كبير.
- 3- تعد النواة أكثر عناصر التصورات الاجتماعية مقاومة للتغيرات، وأي تغيير على مستواها يؤدي إلى التغيير على مستوى التصورات ككل.

والنواة المركزية تعمل على تحديد طبيعة العلاقات التي توحد هذه العناصر. وتعد بهذا العامل المُقرّر (من الاستقرار) ومُلحِم (من التلاحم) للتصورات الاجتماعية. ومقاومتها للتغيرات ضمان استمراريتها وديمومتها في السياقات والديناميكية التطورية بفضل وظيفتين أساسيتين تحدث عنهما آبريكهما:
أ- الوظيفة التوليدية التي تعطي معنا وقيمة لعناصر للتصورات، وهي عناصر إبداع وخلق.

ب- الوظيفة التنظيمية التي لها خاصية تثبيت التصورات وتضمن ديمومتها. ما تجدر الإشارة إليه هو وجود نوعين من النظام المركزي، لوجود نوعين من التصورات الاجتماعية يقول بهما فلامون (1987) جراء تنوعها وراثتها ولتعدد الميادين التي تهتم بهذه المقاربة هما:

-التصورات المستقلة، ومبدأ التنظيم في هذا النوع يقع على مستوى الشيء ذاته.

-التصورات غير المستقلة أو التابعة، وهذا النوع أكثر تعقيدا. ويتطلب تحليلا

نوعيا. والنواة المركزية تقع خارج الموضوع التصوّر. (J.C. Abric , 1994,24)

10-2-النظام المحيطي وآليات الدفاع عن محتوى التصورات الاجتماعية

بالمقابل هناك المعارف المشكّلة للتصورات تقع تحت تبعية ما يسمى بالنظام المحيطي ذو النمط التسلسلي. وهو النظام الأكثر اختراقا وحيوية ومرونة، يجسد تصرفات وسلوكيات الجماع، ويضم مجموعة من الأحكام، القيم، المعلومات. المتعلقة بموضوع التصوّر ومرتبة إن قربا أو بعدا عن النظام المركزي. ويعمل على حمايته وترسيخه بالسماح له باستدخال المعلومات والممارسات المتعددة وقبول سلوكيات معينة (J.C.Abric, 1994,24-26)، حتى يغدو جزء من الواقع المعيش بفضل التبادل والتواصل العلائقي. ومن ثم، إدراج التعديلات المناسبة

(J.M.Seca, op.cit, 75). وعناصر النظام المحيطي، أقرب للتصورات الفردية منها للتصورات الجماعية، لارتباطها بالسياق الفوري والميزات الذاتية (F.R.Lenoir ,op.cit,226, 227).

والنظام المحيطي يسمح بالتكيف مع الواقع، فيقول فلامون Flament: "التصورات اليومية تقع في الجزء المحيطي". كما أن هناك فرضية جديدة تطورت على يده (1994) ويد كاتيريلوس Katerelos (1993) مفادها أنه: "تحت ظروف معينة يمكن لُبنية جانبية في صميم التصورات الاجتماعية (يتعلق الأمر بالتصورات المستقلة) أن تسمح للفرد بالتصرف بسرعة في مواقف ما دون حاجة للرجوع الى العنصر الأساسي..معنى، النظام المركزي يفوض إدارة جزء من النظام المحيطي للعنصر المطلوب بقوة في الممارسات المنتظمة المرتبطة بحقل التصورات (M-) (L.Rouquette,P. Rateau, op.cit, 53-54)، فيزود الأفراد بما يحتاجونه من معلومات حول ما يجب فعله في وضعية ما دون العودة اليه كمرجعة للفعل ورد الفعل. (Ibid,35).

وحضور النظام المحيطي بكل ما يحتويه من عناصر، يلعب دورا رئيسا في تحقيق معنى التصورات. فهو ليس ثانويا في عملية التصور كما قد يتبادر للذهن، بل عنصرا أساسيا مادام- باتحاده مع النظام المركزي- يسمح بالمرساة في الواقع. إن اللانسجام والالتجانس الملاحظ عليه، لا يعني بأي حال وجود تصورات متباينة. إنما يمكن أن يكون، مؤشرا قويا لتغيرات وتطورات المستقبلية داخلها.

وتعتبر أعمال فلامون من الأعمال التي أعطت دفعا قويا لتحليل دور هذا النظام حين اعتبر عناصره منظمة حول نواة مركزية تضمن بطريقة فورية ووظيفة فك الرموز في وضعية ما. وتكمن أهميتها في توصيف السلوكيات، تسمح بما يجب قوله أو فعله بالنظر للأهداف المتوخاة. ومن ثم توجه تصرفات أفراد الجماعة

وسلوحياتهم بطريقة فورية دون الحاجة لاستشارة المعاني المركزية. كما تقوم بعملية تعديل التصرفات المرتبطة بالتصورات (J.C.Abric, 1994, 26-27).
وكما هو الشأن بالنسبة للنظام المركزي، فللنظام المحيطي وظائف حددها فلامون في ثلاث هي:

أ- وظيفة تجسيد التصوّرات F.de concrétisation، حيث ترتبط العناصر الجانبية بالسياق العام. وتكون نتاج مرساتها في الواقع. تفهم وتنتقل فوراً وتدمج عناصر الوضعية المنتجة وتعبّر عن حاضر ومعاش الأفراد. فمن المهم ملاحظة تقاطع مفاهيمنا مع تلك المُعبّر عنها داخل السياق النظري. فحينما عرضت س. إهرليتش S.Ehrlich أساسيات بُنية التصوّرات السيميائية-من الناحية الترتيبية- ومبادئ بنيتها الدلالية، أعلنت أن: "في التصورات عناصر مسيطرة تشكل مركز الخطورة، الأقطاب المنظمة، النوى الصلبة (Noyaux durs) المقاومة بصفة خاصة للنسيان. في حين، العناصر الثانوية، متواجدة لأجل إعطاء خاصية للعناصر الأولى، تسجيل التفاصيل في السياق الخاص مشكّلة نوع من الحيوية على المحتوى".
ب- وظيفة التعديل F.de régulation حيث يلعب النظام المحيطي-لأنه أكثر مرونة من المركزي-دوراً أساسياً في تكيف التصوّرات لتطورات السياق الاجتماعي، بإدماج المعلومة الجديدة والتغيّرات الطارئة. فالعناصر المحيطية حساسة لإعادة النظر في أسس التصوّر، ويمكن على هذا، استدخالها سواء بمنحها مركزاً صغيراً، أو إعادة ترجمتها للمعنى المركزي، أو منحها مميزات وشروط خاصة حيث يقول فلامون: "بالنظر لثبات النواة المركزية، يشكل النظام المحيطي نوعاً متحرراً ومتطوراً في التصوّرات".

ج - وظيفة الدفاع F.de défense، حيث يتحمل النظام المحيطي التناقضات التي تقع داخله (J.C.Abric, 1994, 25,26) في كثير من الحالات الأكثر قابلية للإختراق المباشر. ومن ثم أي تعديل على التصورات يقع في الغالب على هذا المستوى المرتبط بالسياق الآني، فيمكن من تكيف وتطور التصورات (P Moliner, 1996, 34,35).

ويمكن للنظامين التكامل لتشكيل نموذجاً وصفيًا لبنية التصورات الإجماعية. هذا النموذج يحدد أربع حقول مختلفة، حقل المحددات وحقل المعايير المجتمعة تحت النظام المركزي. وحقل المنتظرات والحقل الموصفات المجتمعة تحت النظام المحيطي. وهي حقول فصلها في التالي:

حقل المحددات *Le champ des définitions*

تجمع منطقة المحددات المعارف المركزية التي تلعب دور العناصر المحددة لموضوع التصورات، وتُنظَّم داخل النظام المحيطي. فلقد أثبتت دراسة ب. مولينير حول "تصورات المؤسسة عند الطالب"، أن العناصر كانت تنتمي لهذه المنطقة، وعرفت العينة على أنها منظمة ترتيبية (تسلسلية). وهذا الحقل يجمع إذن المعارف التي تسمح بتحديد المواضيع المتعلقة بالتصورات.

حقل المعايير *Le champ des normes*

في حقل المعايير، نجد المحددات المركزية التي يستثمرها الأفراد إيجاباً أو سلباً، وتلعب دور المعايير التي تمكن من التقييم المعياري الذي يسمح من فهم أشكال الموضوع (الجيد/السيء). ففي ذات الدراسة، مفهوم "المنفعة" ينتمي لهذه المنطقة. ويتعلق الأمر بمعرفة تؤسس لمعيار تقييمي. ومن ثم، ظهور أشكال الموضوع المتنوعة، يمكن تقييمها وتصنيفها كعادية أو غير عادية.

الحقل الوصفي *Le champ des descriptions*

في الحقل الوصفي، المعارف المحيطية منظمة كبناء أو رسم. وتنظيم هذا البناء ودلالاته في أعين الأفراد خاضع بالضرورة للمعارف المركزية التي تحددها. ولأن المعارف المحيطية تتميز بخصائصها المشروطة، فإن البناء المعرفي الذي نصادفه في هذا الحقل - ويشكل التصوّرات - يمكن أن يتنوّع في الزمن ومن شخص لآخر.

حقل المنتظرات (التوقعات) *Le champ des attentes*

منطقة حقل المنتظرات أو التوقعات، تجمع المعارف المحيطية المدرجة في البناء المعرفي في الحقل الوصفي، لكنها مستثمرة بقيمة نوعية أو خاصة. فالقيمة المسندة لهذه المعارف المحيطية، تنبثق في ذاتها من القيمة المسندة للمعارف المركزية الخاضعة لها. وحقل المنتظرات، يسمح بتحديد الوضع الشخصي لقبول أو رفض الموضوع المقترح. فإذا قدرت نسبة 70٪ من مفردات العينة - حسب دراسة مولينيير - أنه من الأفضل أن تكون المؤسسة موقع بحث وإبداع لأنهما سبيل المنفعة.

وإن كل ممارسات أو خطب، مستقاة من دراسات حول التصوّرات، تجد مكانها في منطقة من مناطق النموذج. وفائدته تكمن - حسب ب. مولينيير - في تزاوج بعدين من أبعادها مستعملان تزامنا لعرض بنيتها، ويقدمان فائدة نظرية وعملية أكيدة. (P. Moliner, 1994, 97- 99)

إن هذا الجهاز المزدوج هو الذي يمكن من فهم خصائص التصورات الاجتماعية، التي قد تبدو وكأنها متناقضة، فهي في الحقيقة مستقرة ومتحركة، صلبة ومرنة في نفس الوقت. مستقرة وصلبة كونها محددة من نواة مركزية مترسبة في نظام من القيم لمشاركة بين أفراد الجماعة. ومتحركة مرنة لأنها تتغذى من التجارب الذاتية وتستدخل كمعطيات معاشة ووضعية خاصة.

جدول رقم (01) يوضح خصائص كل من الجهاز المركزي والجهاز المحيطي

الجهاز المركزي	الجهاز المحيطي
تحديد معنى التصورات الاجتماعية.	تتحمل الاختلافات بين الافراد.
مشكلة من خلال المعايير والقيم الاجتماعية.	مشكلة من خلال السياق الاجتماعي.
تمييز بالثبات.	حساسية للسياق الاجتماعي.
متقاسمة بطريقة إتفاقية (إجماع).	حساسية للتغيرات بين الأفراد.

(S. baggio,1999,99)

المراجع

- 01- سليمان بومدين، *تصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر-حالة مدينة سكيكدة* - رسالة دكتوراه، إيش، إسماعيل قيرة، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، قسم علم النفس، الجزائر، 2003-2004.
- 02 - قباري محمد اسماعيل، *علم الاجتماع الجماهيري وبناء الاتصال، دراسة في الاعلام واتجاهات الرأي العام*. منشأة المعارف (جلال عزي وشركاه)، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية، 1984.
- 03 - منال محمود طلعت، *مدخل الى علم الاتصال*. المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر، 2002.
- 04- منى محمد إبراهيم البطل، *تكنولوجيا الاتصالات المعاصرة (الشخصية والادارية ونظم المعلومات)* المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، جمهورية مصر العربية، د س.
- 05 -Ali Kouadria, *La place de la personne handicapée dans la société algérienne*. Thèse de doctorat d'état en sciences de l' éducation, université de Nice. Sophia, Paris, 1994.
- 06-Bernard Rivière, Josèe Jacques, *Les jeunes et les représentations sociales de la réussite. Théories et pratiques dans l' enseignement*, dirigée par Gilles Fortier, Clemence Prefontaine, Les éditions logiques, Quebecor media, 2002.
- 07- Claudine Herzlich, *Les représentations sociales*. Armond Colin, Paris, 1985.
- 08-Christine Bonardi, Nicolas Roussiau, *Les représentations sociales*. Dunod, Paris, 1999.
- 09-D. Bienaime & O. Salomon, *De la représentation au projet*. Ed L'Harmattan, Coll. Défis formation, 1996.
- 10- Denise Jodelet, *Représentation sociale*. Ed Puf, Paris, 1993.
- 11- Denise Jodelet, *Représentation sociale ; phénomènes, concept et théories*. in S. Moscovi, *psychologie sociale*, Ed Puf, Paris, 1997.
- 12-Dominique Lassarre, *Psychologie sociale et économie*. Ed. Armand Colin, Paris, 1995.
- 13- Farid Boubakeur, *La représentation sociale*. Psychologia edicatio, n° 14, les éditions de l'université Mantouri, Constantine, 2001.
- 14-Fatiha Ennabihe, *Les représentations du métier d' enseignants chez l' instituteurs et les élèves -maitres marocains*. These. de doctorat, Directeur de Recherche Michel Bataille, universités de Toulouse, faculte des lettres, sections sciences de l' educations, 1994.
- 15-François-Regis Lenoir, *Quelle Europe face à la mondialisation ? Les représentations sociales de deux changements sociétaux*. Thèse. de doctorat en psychologie sociale, Directeur de recherche, Dominique Lassarre, Laboratoire de psychologie Appliquée, U.F.R. de lettres et Sciences Humaines, Université de Reims Champagne- Ardenne, Dec 2000.

- 16--Gustave Nicolas Fisher,Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale. Ed Dunod, Paris, 1993.
- 17-Gustave Nicolas Fisher,Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale. Dunod, 3° Ed, Paris,2005.
- 18--Gustave Nicolas Fisher,Les concepts fondamentaux de la psychologie sociale. Ed Du--nod, Paris, 1993.
- L autodidacte *Entre pratiques et representations* sociales. "19-Hélène Bezille - Lesquoy, L'Harmattan Paris,2003.
- 20-Ivana Markova,Dialogicite et representations sociales.Traduit de l anglais par Sylvine Muller, Puf,2007.
- 21- Jean.Claude. Abric ,pratiques sociales et représentations.puf ,Paris,1994.
- 22-Jean Claude Richard [et al]. Traité de psychologie cognitive. T.03, Dunod,Bordas, Paris, 1980.
- 23 – Jean Marie Seca,Les représentations sociales. Armond colin, Paris, 2002.
- 24-Michel-Louis Rouquette, Patrick Rateau,Introduction à l'étude des representations sociales. Pug, 1998.
- 25- Nathalie Blanc[et Al],Le concept de représentation sociale en psychologie. Ed Presse, Paris,2006.
- 26-Pascal Moliner,Les deux dimentions des representations sociales,Revue internationalei de psychologie sociale.T 07, n° 02, Pug, 1994.
- 27- Pascal Moliner,Images et représentations sociales.De la théorie des représentations à l'étude des images sociales.Pug,Grenobles,France,1996.
- 28- Serge Moscovici ,Introduction à la psychologie sociale .T.02,Ed. Larousse,coll. Sciences humaines et sociales.Paris,France,1973.
- 29-----,Psychanalyse son image et son public. 2eme ed,puf,Paris,1976.
- 30-----,La psychologie Sociale, puf,Paris ,1984.
- 31-----,La psychologie Sociale, puf,Paris ,1990.
- 32-Stephanie Baggio,Psychologie Sociale ; conceptes et experiences. De boeck, Bruxelles, 2011.
- 33- Y. Maache, Chorfi.Med Seghir , Kouira.A, série de conférence sur la représentation sociale ; un concept au carrefour de la psychologie sociale et de la sociologie,les éditions de l'université Mantouri, Constantine , 2002.
- 34- Williame Doise, A.Palmonari,Textes de base en psychologie pour l'étude des représentations sociales.Delachanx, Niestlé,Neuchatel,Paris,1986